جامعة حماه

كلية التربية

السنة الثالثة / معلم صف

مقرر

استراتيجيات تربوية لحماية الطفل

المحاضرتين الرابعة والخامسة / الفصل الدراسي الثاني

د. يمان شما

العام الدراسي 2019 / 2020

الفصل الثالث: العوامل المؤدية إلى العنف وبعض النظريات المفسرة له

أولاً: العوامل المؤدية إلى العنف

*عوامل الطفل

* عوامل الأسرة

* عوامل المدرسة

* عوامل المجتمع

ثانياً: النظريات المفسرة للعنف

* نظرية المخالطة الفارقة

* نظرية التفكك الاجتماعي

* نظرية الإحباط / العدوان

* النظرية الفيزيولوجية

* نظرية الضغط البيئي

* النظرية الحلزونية

* نظرية المهمشون

* نظرية التعلم الاجتماعي

* النظرية السلوكية

* النظرية المعرفية

* نظرية التحليل النفسي

الفصل الثالث

العوامل المؤدية إلى العنف والنظريات المفسرة له

أولاً: العوامل المؤدية إلى العنف

تعد ممارسة العنف صورة من صور السلوك الإنساني التي يقدم عليها الأفراد في ضوء تصوراتهم لما يحيط بهم من ظروف ومشكلات تعترض حياتهم، وفي ضوء اتجاهاتهم نحو الآخرين ومعايير تفاعلهم مع الآخر.

وليس من اليسير تجاهل مظاهر العنف الواقعة على الأطفال بوصفها ممارسات معزولة عن الإطار الاجتماعي والثقافي المحيط بها.

ويمكن التمييز بين أربعة عوامل أساسية أخذت تنتشر في المجتمع حالياً، وجعلت من العنف الممارس على الأطفال أمراً مستساغاً عند الفاعلين في كثير من الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشونها.

وهذه العوامل هي :

* **عوامل تعود إلى الطفل:**

منها:

١ – **عمر الطفل:** لعمر الطفل علاقة غير واضحة باحتمال تعرضه لسوء المعاملة والإهمال، وقد تتغير هذه العلاقة بتغير سوء المعاملة، فقد كان معدل الحالات المؤكدة لسوء معاملة وإهمال الأطفال في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠ م مثلاً على أشده بين الأطفال الذين لم يبلغوا الثالثة من عمرهم، وخاصة الإهمال ويتناقص ذلك بتقدم العمر، على الرغم من أن عمر الطفل يؤهبة لسوء معاملة أو إهمال معين فالأطفال الأكبر قد يتعرضون للعنف الجسمي، والمراهقين قد يتعرضون لخطر العنف الجنسي وخاصة الإناث، أما الأطفال الرضع فيمكن أن يتعرضوا لمتلازمة الرضيع المرتج وفشل النمو غير العضوي.

٢ – **الإعاقة:** الأطفال المصابين بإعاقة جسمية أو عقلية أو نفسية أكثر تعرضاً للعنف، ولكن مازال غير واضح ما إذا كانت الإعاقة سبباً للعنف أم نتيجة له. وبصورة عامة قد ترتفع

ممارسة العنف على الأطفال الذين يعدّهم أهلهم بأنهم بحاجة إلى رعاية خاصة أو مختلفين عن غيرهم مثل:

- الأطفال ذوي المشاكل الصحية أو بطيئي النمو.
- الأطفال غير المرغوبين.
- الأطفال كثيري الحركة.
- الأطفال ذوي الإعاقة.
- الأطفال ذوي الفشل الدراسي.
- الأطفال ذوي الأمراض المزمنة
- وتمثل صعوبات **التعلم** أحد أهم أسباب التعرض للعنف ضد الأطفال حيث تنتشر بنسبة كبيرة.

وقد يتعرض الأطفال المعاقين للعنف بسبب عدم قدرتهم على فهم أن السلوك المسيء هو سلوك غير مناسب، أو بسبب عجزهم عن الهرب أو الدفاع عن النفس في ظروف العنف. وقد تؤدي بعض العادات والمواقف والممارسات والمعتقدات الاجتماعية إلى تفاقم ظاهرة العنف ضد الأطفال المعاقين. فالمثل الشعبي يقول "الأعمى طبو مانك أكرم من ربو"

٣- **جنس الطفل المعتدى عليه:** ترى الدراسات أن واحداً من كل عشرة ذكور يتعرض للعنف، بينما تتعرض فتاة واحدة للعنف من كل ثلاث فتيات. أما الإناث فهن الأكثر تعرضاً للعنف الجنسي من الذكور لاسيما في حالات الاغتصاب ولكنهن لا يقمن بالتبليغ إما لأن الفاعل أحد أفراد الأسرة أو خوفا من الفضيحة.

٤- **عوامل ترجع إلى شخصية الطفل :**

- الشعور المتزايد بالإحباط .
- ضعف الثقة بالذات .
- طبيعة مرحلة البلوغ والمراهقة .
- الاعتزاز بالشخصية وقد يكون ذلك على حساب غيره والميل أحيانا إلى سلوك العنف.
- الاضطراب الانفعالي والنفسي وضعف الاستجابة للقيم والمعايير المجتمعية.

- تمرد المراهق على طبيعة حياته في الأسرة والمدرسة.
- الميل للانتماء إلى الشلل والجماعات الفرعية.
- غياب القدرة على مواجهة المشكلات بصراحة.
- غياب إشباع الأطفال لحاجاتهم الفعلية.

* **عوامل الأسرة:**

١ – **العوامل الاقتصادية:** على الرغم من أن معظم الفقراء لا يسيئون معاملة أطف الهم إلا أن الدراسات قد أكدت وجود علاقة بين تدني مستوى الدخل وممارسة العنف

فقد يكون لتدني مستوى المعيشة أو غياب فرص العمل أثر بارز في عنف رب الأسرة عل ى أطفاله، فالفقر يولد التوتر نتيجة غياب القدرة على إشباع الرغب ات والاحتياج ات المادي ة والمعنوية بشكل متزن ودائم، وهذا التوتر يتحول بشكل أو آخر إلى أزمات عابرة أو مزمن ة مما يدفع رب الأسرة إلى ممارسة بعض أنواع العنف نحو أطفاله ونحو زوجته أيضاً، بهدف تفريغ الشحنة الانفعالية المعبرة عن الخيبة والفقر والتشاؤم من هذه الحياة، ولما كان الطف ل الطرف الأضعف داخل أسرته فمن الطبيعي أن يتلمس هذا العنف بأنواعه المختلفة سواء كان لفظياً أم نفسياً أم جسدياً مما يشكل في نهاية الأمر شريحة من الأطفال تحمل بين طياتها نز عة عنيفة للدفاع عن ذاتها طوراً والاعتداء على الآخرين طوراً آخر، وتجدر الإش ارة إل ى أن العنف على الطفل أو إساءة معاملته لا تعني أنها تقتصر على الأسر الت ي تع يش وض عاً اقتصادياً ضعيفاً، فيوجد أيضاً شريحة من الأطفال الذين يتعرضون لسوء المعامل ة وال ذين ينتمون إلى أسر غنية، وفي بداية الأمر قد يرد إلى فكر معظم الناس أن الطفل المنتمي إل ى عائلة من الطبقة الغنية لا يتعرض للعنف من قبل والديه لعدم وجود أي سبب يدعوهم للعن ف عليه وهذا لأنهم يعيشون في طبقة مرفهة من النواحي جميعاً، إلا أن هذا الاعتقاد قد يعتري ه الشك لاسيما وإننا نجد في هذه الطبقة نوعين من الأطفال المساء معاملتهم، فنرى في الن وع الأول ذلك الطفل المهمل تربيته من قبل أحد والديه أو كليهما لانشغالهم بأعمالهم التي ق د لا تنتهي فهنا يكون الطفل محروماً من العطف والرعاية والحنان وهو بأمس الحاجة إلى ذلك في هذه المرحلة العمرية والذي يرى أنهم أغلى من الأشياء جميعها التي يمتلكها، بينم ا يتص ف النوع الآخر من أطفال هذه الطبقة بأنهم أطفال يعانون من مشكلات نفسية وغير قادرين على

اتخاذ أي قرار بمفردهم، ومستعدين دائماً لممارسة ما يملى عليهم من الكبار: نجد هذا كله عندما يرى رب الأسرة في هذه الطبقة أطفاله ملكيةً خاصة كسائر الأشياء التي يمتلكها لذلك يقوم بتربيتهم تربية على أساس الملكية الخاصة هذه التربية التي تهمش الطفل وحقيقة احتياجاته والشكل المناسب لنموه.

٢- العوامل الثقافية وعلاقتها بالعادات والتقاليد:

فكلما كان المستوى الثقافي للأسرة منخفضاً لجأت هذه الأسرة إلى العنف على أطفالها وهذا يعود لغياب معرفتهم الكافية بالطرق السليمة في تربية أطفالهم، فعندما يقوم الطفل بتصرف خاطئ، تلجأ الأسرة إلى الضرب دائماً، وليس هذا فحسب بل يعتقد بعضهم أن تعليم الأطفال لن يجلب نفعاً أو فائدة خاصة، وإذا كان وضع الأسرة متدنياً نراهم يخرجونهم من المدارس أو لا يرسلوهم إليها أبداً فالعلم أصبح شبه عدو لهم يضر بأطفالهم بدلاً من أن ينفعهم وهذا له تأثير كبير على نفسية الطفل ومستقبله.

كما تسهم العادات والتقاليد في سلوك العنف على الطفل، لاسيما أن بعض هذه العادات تفرض على الرجل أن يمارس قدراً من الرجولة حسب مقتضيات هذه التقاليد فلا بد لقيادة أسرته، أن يمارس العنف والقوة. وهذا قد يكون المقياس الذي يمكن بوساطتة معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من الرجولة، وإلا فهو ساقط من عداد الرجال وهذه العادات تتناسب طرداً مع ثقافة المجتمع ولاسيما الثقافة الأسرية فكلما كان المجتمع على درجة عالية من الثقافة والوعي كلما تضاءل أثر هذه العادات والتقاليد. (البصري، ٢٠٠١، ١٣٢)

وأخيراً يجب الإشارة إلى أن مقياس الثقافة في تربية الأطفال قد يختلف بين أسرة وأخرى، فنجد تارة بعض الأسر تقوم على تربية أطفالها استناداً إلى ثقافة معينة مثل الحوار والنقاش التي تراها هذه الأسر تربية حديثة، بينما نجد أسراً أخرى تنساق وراء العادات والتقاليد في عملية التربية بدافع الضغط الاجتماعي والتي تراها التربية المناسبة فتلجأ إلى الضرب والقسوة والعنف في التربية لأن هذا كله ينصب في مصلحة الأطفال.

وفيما يأتي بعض الأمثال الشعبية والتي تحبذ بشكل واضح للعنف في عملية تربية الطفل:

١) العصا من الجنة.

٢) ابن أربعة ربعوه، وإن ما قعد بالعصا أدبوه.

٣) من وفر العصا أفسد الولد.

٤) أدب ابنك وأحسن أدبه لا يموت ولا يقصر أجله. (بركات، ١٩٩٤، ٦٥)

٣- الخلافات الزوجية

إن الحياة العائلية الهادئة المستقرة والمريحة التي يسودها الحب والعطف والحنان لها الأثر الأكبر في حياة الأطفال وتكوين شخصيتهم، وإن من يصم آذانه عن صرخة أطفاله فإنه لا يدرك معنى الطفولة وأهمية المرحلة التي يعيشونها.

والخلافات الزوجية في الأسرة ظاهرة طبيعية تتوقف على قدرة الزوجين على خلق الأجواء الطبيعية، وقدرتهم على التكيف داخل أسرهم وهذا التكيف لا يحصل إلا إذا عرف كل من الزوجين المهمة الموكلة إليه داخل الأسرة فلا يكون تداخل المهام سبباً من أسباب الخلاف بل قد يستطيع الزوجان تحويل هذا الخلاف إلى نوع من التوافق والتعاون والتعاضد مما يؤدي إلى قوة الأسرة واستقرارها، ويبدو التوافق الأسري ضروريا في الأزمات التي تتعرض لها الأسرة أو قد تهددها.

ويعتمد تحقيق التوافق على مدى استعداد كل من الزوجين لمواجهة الأزمة ولا يكون ذلك مجدياً إلا بقوة العلاقات العاطفية الزوجية المستندة إلى مشاعر الحب والإقدام والانسجام، والتضحية، واعتبار مصلحة الأبناء ومستقبلهم أمراً أساسياً وهاماً ووضع ذلك فوق كل أمر آخر، مما يوفر شعوراً بالأمن والاستقرار والطمأنينة لأفراد الأسرة كافة.

ومع هذا فقد تقع الخلافات بين الزوجين وتأخذ أشكالا متعددة كلامية أو رمزية أو حركية، وبعضها يكون مشحوناً بالانفعالات التي لا تقف عند الحوار والنقد بل تتعداه إلى الكلام القاسي والجارح وأحياناً يصل إلى العنف الجسدي، وكثيراً ما يرى الأطفال هذه المشاحنات بين الولدين وينتابهم الخوف والقلق والحيرة، وقد ينحاز أحدهم باتجاه الأم وقد ينحاز الآخر مع الأب وقد يكره الأطفال سلوك الوالدين كليهما. وقد يتطور هذا الخلاف ليصل إلى خلافات

عاصفة تزعزع كيان الأسرة وتهدد بنيانها الذي قد ينهار في لحظة غضب، وتتحطم نفسيات الأطفال، وينتابهم القلق والضياع وعدم الثقة بالوالدين وبالآخرين، وينعكس هذا على ثقتهم بأنفسهم وتقديرهم لها. (بلان ، بركان، ٢٠٠٥، ٣٦)

٤- غياب أحد الزوجين (الأب أو الأم):

١- غياب الأب: من المشكلات التي تواجه الأسرة وتشكل نوعاً من أنواع العنف غير المباشر على الأطفال غياب أحد الزوجين، ولكن كيف يكون هذا الغياب شكلاً من أشكال العنف غير المباشر؟ الجواب يكمن في نقص الرعاية والإشراف الذي يسببه هذا الغياب. ويؤدي إلى تضاعف المهام على الأم مما يثقل كاهلها بكثرة الواجبات التي تقوم بها لسد الفراغ الذي تركه غياب الأب.

وإن خطورة غياب الأب عن البيت تعني غياب النموذج الذكري بالنسبة للطفل الذكر وذلك لأن وجود الطفل مع الأم يقلل من درجة الذكورة عند الطفل، ومن جهة أخرى فإن غياب الأب يؤثر على الدور الجنسي للأولاد حيث يشكل هذا الغياب عدم وضوح الدور الجنسي للأولاد والبنات ويكون بذلك أحد أسباب المشكلات والاضطرابات التي تترك أثارها على أبعاد شخصياتهم المختلفة.

وكذلك لوجود الأب ضرورة في التفاعل المباشر مع الطفل حيث يقوم معظم الآباء بحمل الصغير خلال الأشهر الأولى من عمره وإن طريقة الحمل حيث يكون الأب والطفل وجها لوجه مما يسمح بتطور العلاقة بين الطرفين. كما أن هناك أهمية لسلوك الأب في النمو الانفعالي والنفسي للطفل من خلال علاقة الأب مع الطفل.

إن وجود الأب يوفر الدعم العاطفي للزوجة مما ينعكس إيجاباً على علاقة الأم بالطفل.

كما أن الأسرة في وجود الأب تكون أكثر تعاونا وتماسكاً حيث يبدي الأب مشاركة في رعاية الأطفال مما يحد من ظهور السلوك المنحرف عند الأطفال.

٢- غياب الأم:

إن غياب الأم عن الأسرة لا يقل تأثيره وأهميته عن غياب الأب عنها، فهو يؤثر تأثيراً عاطفياً كبيراً على الأطفال داخل الأسرة، لأن الأم هي نبع الحنان والحب ومصدر الدفء والاستقرار لأطفالها ولأسرتها، إنها العمود الفقري للحياة داخل الأسرة فتحت جناحيها تحتضن أطفالها وترعاهم وتحقق لهم التوازن والصحة النفسية والجسمية.

يعدّ غياب الأم لفترة نوعاً من أنواع العنف غير المباشر على الأطفال. ففقدان الأم أو غيابها لفترة طويلة يؤثر على النمو النفسي والجسمي للطفل ويؤثر سلباً على سلوكه وعلاقته مع أقرانه ومجتمعه ، وقد تحصل مضاعفات واضطرابات في اللغة والوزن والذكاء وصعوبة التكيف، واضطرابات نفسية، كما أن غياب الأم عن أطفالها في السنوات الأولى من العمر يؤثر سلباً في مراحل حياتهم اللاحقة.

٣- انفصال الزوجين (الطلاق):

إن انفصال الزوجين لا يقل خطورة وأهمية على الأطفال، ويعدّ نوعاً أخر من أنواع العنف غير المباشر عليهم لما يتركه من أثار نفسية، وسوء تكيف وتؤدي هذه المشاعر إلى ضعف الدافعية عند الأطفال مما يتركهم غرباء عن المجتمع الذي يعيشون فيه ومن هذه المشاعر التي يشعر بها الأطفال:

أ- القلق والاكتئاب والحزن والغضب:

دلت دراسات متعددة أن لطلاق الوالدين أثاراً سلوكية وعاطفية كبيرة على الأطفال وتكون هذه الآثار قوية عندما يحدث الطلاق أثنار سنوات ما قبل الدراسة، وفي دراسة تقيمّية لأطفال أعمارهم من ٣- ٥ سنوات يسعى والدهم إلى الطلاق وجد ماكديرموت: (إن أكثر من النصف قد أظهروا ردود فعل عاطفية وسلوكية شاذة لم تكن واضحة في السابق، وقد شملت ردود الفعل هذه: الحزن، الغضب، والاكتئاب، والانفصال العاطفي، وقام ريتشارد بدراسة توصل فيها إلى أن أبناء المطلقين يشعرون بالتمزق بين كل من الأم والأب بسبب الخلافات الدائمة بين الوالدين مما يؤثر على عواطف وشعور الأبناء بالاكتئاب النفسي والحزن الشديد.

(ليمان، ١٩٩٨، ٨٧)

ب- السلوك العدواني:

أظهرت الدراسات أن أطفال المطلقين (٥ – ٦) سنوات أصبحوا قلقين ومزاجيين وعدوانيين، وقد أظهر ثلث هؤلاء الأطفال تقريباً اكتئاباً، كما أنهم أكثر عدوانية أثناء اللعب بالدمى من الأطفال الذين يعيشون في ظل رعاية والديهم.

ج- سوء التكيف: وجد (يذرينجتون وكوس) أن أطفال الوالدين المطلقين في سن ماقبل المدرسة عانوا من مشكلات تكيف مهمة خلال سنة بعد الطلاق، إلا أنه ومع السنة الثانية فإن أطفال البيوت التي وقع فيها الطلاق كانوا أفضل تكيفا من الأطفال الذين جاؤوا من بيوت سليمة لكنها تعاني من مستويات عالية من الخلافات الزوجية، وقد جرى تعرف عدد من العوامل المهمة في تحديد تكيف ارتباطات ذات دلالة بين مقدار العدوان المعبر عنه فيما بين الوالدين قبل الطلاق وبين تكيف الطفل بعد الطلاق بالنسبة للصغار فوق سن الثالثة، وقد كان الصراع الجسدي بين الوالدين هو العامل الأقوى في التنبؤ فيما بعد بسوء تكيف الطفل. وقد قيم (ولرشتاين) تكيف الأطفال بعد مرور عشر سنوات على الطلاق ووجد أن الأطفال الذين كانوا في مرحلة ما قبل المدرسة عند الطلاق كان لديهم القليل من الذكريات فيما يتعلق بتلك الأحداث، وفيما يتعلق بالتكيف العام فقد وجد ولرشتاين أن البنات اللواتي كن في مرحلة ما قبل المدرسة عند الطلاق حققن أفضل تكيف لهن بعد عشر سنوات، في حين حقق الأولاد الذين كانوا أكبر سناً عند الطلاق أضعف تكيفاً فيما بعد وبوجه عام فان أطفال ما قبل المدرسة كانوا أفضل تكيفاً بعد عشر سنوات على الرغم من أنهم أظهروا ضعف تكيف أولي عند حدوث الطلاق ، كما أن التواصل المنتظم مع الأب وغياب الغضب المزمن عند الوالدين والاضطراب النفسي للأم يرتبط بالتكيف الجيد للطفل مع واقعه الجديد. (ليمان، ١٩٨٨، ٦٧).

د- عدم الثقة بالآخرين:

يعيش الطفل بعد الطلاق في دوامة من الحرمان وعدم الاستقرار، فهو يحب والديه ويشعر بالحاجة إلى حنانهما وحبهما معا، ولكن نلاحظ أن الطفل ينحاز لأحد الوالدين على حساب الأخر، ويشعر بالحقد والكراهية لأحدهما أوكليهما، وينعكس هذا على سلوكه ويشعر بعدم الثقة بالنفس وبالوالدين وبالأشخاص الآخرين، وكل هذا عنف وضغط نفسي يؤثر في هذا

الطفل الذي لا يملك من أمره شيء.

ه- الضغوط النفسية:

إن أبناء المطلقين أكثر تأثراً بالضغوط النفسية والأسرية من غيرهم، حيث يشعر الطفل بالحيرة والتمزق بين الأم والأب بسبب الصراع القائم بينهما، وأسوأ ما في الطلاق هو الوضع الذي يقوم به أحد الوالدين بحرمان الآخر من رؤية الأبناء بقصد الحقد والإيذاء حيث تظهر الآثار السيئة نتيجة لذلك، والذي يؤدي إلى الاضطرابات النفسية والجنوح والانحراف، ونذكر مثالاً بسيطاً ولكنه مؤثر بعد حصول طلاق بين زوجين والطفل في حضانة أمه، ذكره الدكتور جوهر سعد في كتابه نحن وأطفالنا يقول :" كان يبكي بهدوء في الزاوية، ويتململ في الفراش، ويتألم بصمت وبعد عدة أيام قال لأمه : هل تعرفين يا أمي؟ دعي أبي يعود إلى البيت، دعيه يجلس على الأريكة، ويقرأ الجريدة، وإذا لم يكن لديه الوقت ليلاعبني فلا بأس، أنا سأتحمل، دعيه يعود إلينا فقط. (سعد، ١٩٩٧، ٨٧) .

وهنا نؤكد أن واجب كل أم أو أب مطلق أن يتكيف مع واقع الطلاق بعد حصوله، وأن لا ينعكس هذا على الأولاد، والامتناع عن استخدام الأطفال كوسيلة لتنفيذ الحقد والإيذاء للطرف الأخر، لأن استخدام الطفل كسلاح ضد الأخر يؤذي الطفل قبل أن يؤذي الخصم.

- ثقافة الزوجين:

الآباء جميعاً يريدون لأطفالهم مستقبلا باهراً ونجاحات مطردة في هذه الحياة وعلى مختلف الأصعدة وهم لا يدخرون جهداً في سبيل الوصول إلى هذه الغاية ولكن كيف السبيل إليها وهم يعتقدون أنهم قد فعلوا ما بوسعهم ؟ ألم يقدموا له المأكل والمشرب والنظافة والرعاية ؟ وهذا كل شيء والباقي على الله أي تابع لأسباب لايملكون لها تبديلاً ، مثل: الحظ والعوامل الوراثية وغيرها، غير أن الحقيقة غير ذلك تماما، فالآباء الذين لا يقدمون لأطفالهم سوى المأكل، والمشرب، والرعاية الصحية على سبيل المثال. لا يقدمون إلا الشيء القليل وذلك لأن الطفل ليس حيوانا أليفا نعتني بمأكله، ومشربه، ومسكنه، ونظافته، وصحته لكي يبقى على قيد الحياة، إنه إنسان له أحاسيس ومشاعر مثله في ذلك مثل الكبار، وهو يملك الإمكانات والاستعدادات العضوية والنفسية كافة التي ينبغي تعهدها بالرعاية والتطوير لإعداد الطفل الإعداد الكافي لخوض غمار الحياة، وهنا لابد لنا حتى نحقق ما نريد أن يكون الآباء على قدر

عال من الثقافة التربوية في التعامل مع أطفالهم، ولكي تتم عملية تنظيم التربية تنظيماً يضمن اختصار مدة العبور من مرحلة إلى مرحلة لاحقة ولابد من فهم المراحل التي يمر بها الطفل ومعرفة قوانين النمو العقلي والجسدي. إن الإلمام بمراحل التطور الجسدي والعقلي لدى الطفل والطرائق الواجب استخدامها في تربيته يؤدي إلى نتائج طيبة.

- سلوك الوالدين وعلاقته بمشكلات الأطفال النفسية :

قد يكون لسلوك الوالدين أثر كبير في المشكلات النفسية التي يتعرض لها الطفل، فإما أن يكون هذا السلوك إيجابياً يساعد الأطفال على التخلص من مشاكلهم وإما أن يكون هذا السلوك سلبياً يترك أثره في الأطفال، وقد يأخذ سلوك الوالدين أحد الاتجاهات الآتية:

١- التسلط : يعني زيادة سيطرة الوالدين على الطفل والتدخل في كل كبيرة أو صغيرة من شؤونه ، فينشأ الطفل ضعيف الشخصية، ولديه استعداد كبير للإصابة بالمشاكل النفسية.

٢- الإفراط في الحماية : ويعني ذلك القيام بكل واجبات الطفل والاستجابة الفورية لكل ما يريد، فينشأ ضعيف الثقة بنفسه.

٣- النبذ والإهمال: وفيه يهمل الطفل ويترك دون إثابة، أو تشجيع في حالة النجاح، أو دون عقاب وتهديد في حالة الفشل.

٤- التدليل: وفيه يتراخى في معاملة الطفل وتربيته، ويستجاب لكل ما يريد، فينشأ الطفل خائفاً متردداً.

٥- التذبذب والاضطراب : فالعمل الذي يثاب عليه الطفل من الممكن أن يعاقب عليه وهنا ينشأ الطفل شديد التناقض، دائم القلق، لا يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ.

٦- التمييز بين الأولاد: وتترتب عليه الغيرة والكراهية، وحب الانتقام، وكل هذه الاتجاهات ضارة بشخصية الطفل، ومن الأفضل الاتجاه الذي يمثل الوسطية والاعتدال الذي نستمده من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: " من لا يرحم لا يرحم " فلا شك أن الرحمة إذا دخلت قلب الوالدين فإنها ستفيض على أولادهما، فينشؤون متراحمين.

- **عمر الأم:**

الأمهات الصغيرات أكثر عرضة لإساءة معاملة أطفالهن، وفي دراسة تمت في كندا على مدار عشر سنوات وجد أن ٩٥% من الأمهات اللواتي أعطين تقارير لمؤسسات رعاية الأطفال عن إساءة أو إهمال أطفالهن كانت أعمارهم دون العشرين، وتوضح هذه النتيجة أن الأمهات الصغيرات السن، اللاتي طلقن أو انفصلن عن أزواجهن واللواتي يفتقدن إلى المساندة الأسرية والاجتماعية هن عرضة للقيام بإساءة معاملة أطفالهن، وأغلب الوالدين الذين وجهت لهم تهمة الإهمال كانوا أمهات يعيشون بمفردهن مع الطفل دون وجود معيل آخر.

ولكن عمر الأم بمفرده قد لا يشكل خطورة إلا إذا اقترن بعوامل أخرى مثل: فقدان الدعم الاجتماعي، وارتفاع مستوى الكرب، وانخفاض المستوى الاقتصادي... إلخ.

- **الاضطراب النفسي للوالدين:**

عندما بدأ المتخصصون يكتبون عن أسباب سوء معاملة الأطفال اعتقدوا أن الآباء الذين يسيئون معاملة أطفالهم يعانون من مشكلات انفعالية ونفسية تؤدي بهم إلى إيذاء أطفالهم. ولكن في الواقع لا توجد صورة واضحة عن خصائص الأشخاص الذين يمكن عدهم آباء يسيئون المعاملة تماماً.

سمات الشخصية التي تمارس العنف:

لا يوجد نموذج واضح لخواص الشخصية المؤهلة لممارسة العنف والإساءة والإهمال، ولكن يكثر تواتر بعض الخواص عند من يقومون بذلك نذكر منها:

١- صورة سلبية ومشوهة للذات.

٢- سطحية الانفعالات.

٣- ضعف الروابط الانفعالية مع الآخر.

٤- الافتقار إلى الحب والرعاية.

٥- الإحساس بفقدان الأمن.

٦- السلبية في حل المشكلات.

٧- الانسحابية من المواقف دون إيجاد حلول للمشكلة.

٨- تفضيل الحلول العدوانية.

٩- ضعف ضبط النزوات.

١٠- وجود السيكوباتية بسماتها العدوانية.

١١- ثنائية الإدراك وازدواجية الشخصية بين الرغبة في الاعتماد والرغبة في التدمير.

١٢- مشاعر الاضطهاد والحساس بالظلم.

١٣- الاعتقاد بمركز ضبط خارجي" أي أن الأحداث تتقرر بالمصادفة أو من خلال قوى خارجية ليس للشخص سيطرة عليها".

١٤- إن الأمهات اللواتي يفتقدن إلى الرضى في علاقتهن الزوجية أكثر استخداما للعنف.

١٥- إساءة استخدام الكحول والعقاقير.

- **تاريخ الوالدين من إساءة المعاملة لهم في الصغر:**

قد يصدق المثل القائل نحن نربي أولادنا على ما تربينا عليه، فالآباء الذين أسيئت معاملتهم عندما كانوا صغاراً أكثر ميلاً لإساءة معاملة أطفالهم وتعرف هذه الظاهرة. بانتقال العنف عبر الأجيال، والفكرة الأساسية هنا أنه إذا أساء الأب معاملة ابنه فإن هذا الابن سوف يسيء معاملة أولاده، ولكن ليس من الضرورة أن يحدث ذلك في الحالات كلها، وليس من الضرورة أن كل طفل يشب وهو يرى أن والده يسيء معاملة والدته أن يسيء هو الآخر معاملة زوجته. فقد تتداخل عوامل أخرى توقف العجلة الدائرة أو تكسر الحلقة المفرغة كالتعليم، أو تغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي، أو اختلاف طباع الأبناء أو الزوجة عن طباع الأب أو الأم إلى الأفضل، أو غيرها من العوامل، والكثير من الناس لا يحب أن يذيق أولاده ما تجرعه هو من مرارة الحرمان، أو الفقر، أو سوء المعاملة في الصغر. (عبد الرحمن، ١٩٩٩، ١٣٨)

- **تعاطي الكحوليات والمخدرات:**

أشارت منظمة الصحة العالمية في تقريرها عام ١٩٩٢ م أن ٩٧ %من حالات العنف داخل الأسرة تحدث عن طريق شخص مدمن. كما وجد كذلك شيوع إساءة معاملة الأطفال في الأسر التي يتناول فيها الآباء الخمور أو يتعاطون المخدرات.

وفي مصر أجريت دراسة عام ١٩٩٧م تبين فيها أن أطفال المدمنين أكثر عرضة لترك الدراسة خاصة الفتيات لحاجتهن إلى كسب قوت يومهن أو للعناية بأخواتهن أو للعمل في سن صغيرة، أو يجبرن على احتراف البغاء.

فالإدمان يؤثر على الأداء العقلي والمحاكمة عند الوالد المدمن، كما يؤثر على قدرته على حماية أطفاله، فقد يهمل احتياجات أطفاله لينفق النقود على الكحول والمخدرات، وقد يتورط بأفعال إجرامية تخاطر بصحة أطفاله وسلامتهم، إضافة إلى أن الإدمان قد يؤثر على طرق تربية الأطفال وعلى اختيار الوالد لطرق تأديبهم، كما أن تعاطي الوالدة للكحول أثناء الحمل يؤثر سلباً على تطور الجنين وقد يولد بعض الأطفال مصابين بمتلازمة الجنين الكحولي.

وقد يترافق الإدمان بالعديد من المشاكل الأخرى مما يجعله يشكل تحدياً كبيراً أمام مواجهة المشكلة.

- **بنية الأسرة:**

بينت الدراسات الغربية أن احتمال استخدام العنف يزداد كلما ازداد عدد أفراد الأسرة القاطنين في المنزل نفسه، ويتعرض الأطفال الذين يعيشون مع أحد الوالدين فقط للعنف أكثر من الأطفال الذين يعيشون في رعاية كلا الوالدين، بسبب كثرة الضغوط الملقاة على الوالد إذا كان يعيش مع الأطفال لوحده، كما أن الأطفال الذين ينتقلون للعيش مع آخرين مثل: أم الأم، أو أخت الأم، أو الزوج الثاني للأم، يكونون أكثر تعرضاً للعنف.

* **عوامل المدرسة:**

يتمثل العنف المدرسي بسلسلة من العقوبات الجسدية والمعنوية المستخدمة في تربية الأطفال التي تؤدي بهم إلى حالة من الخوف الشديد والقلق الدائم، وإلى نوع من العطالة النفسية التي تنعكس سلباً على مستوى تكيفهم الذاتي والاجتماعي، ويتم العنف المدرسي، باستخدام الكلمات الجارحة واللجوء إلى سلسلة من مواقف التهكم والسخرية والأحكام السلبية إلى حد إنزال العقوبات الجسدية المبرحة بالطفل، ويتمثل العقاب الجسدي المتبع في المدرسة بالضرب بالعصي والحبال والمساطر واللطم والصفع.

كما يتضمن العنف المدرسي العنف النفسي، المتمثل بإيقاف الطفل خلف الباب أو مواجهة وجه الطفل للحائط والوقوف على قدم واحدة، إضافة لسب الطفل وشتمه، والاستهزاء به

والسخرية منه، وعدم إعارته أي اهتمام بما يقوم به من نشاطات وأعمال حتى لو كان ما يقوم به مهماً جداً

وقد يلجأ بعض المعلمين لاستخدام العقاب بالواجبات المدرسية، أي إرغام الطفل على كتابة كلمة أو فقرة أو جملة عشرات أو مئات المرات.

وما يعزز استخدام الإكراه والعنف المدرسي، الاعتقاد بأنه السلوك الأسهل في ضبط النظام والمحافظة على الهدوء، ولا يكلف الكثير من العناء والجهد.

وبما أن الهدف من التربية عملياً هو تحقيق النمو والتكامل والإزدهار في شخصية الإنسان، فإن الطفل ينظر إلى نفسه وفقاً لنظرة الآخرين إليه، وتقييمهم له.

من هنا فإن العقوبة الجسدية والمعنوية تمثل عوامل هدم وتشويه للشخصية عند الأطفال، بالإضافة إلى فقدان الثقة بالذات وانعدام المسؤولية وتعمل على تعطيل طاقات العقل والتفكير والإبداع لديهم.

والقوانين الناظمة للعمل التربوي في التربية الحديثة تمنع استخدام الضرب والعنف في المدارس، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المعلمين وبتأثير من خلفياتهم الثقافية والتربوية يلجؤون إلى أسلوب العنف في تعاملهم مع التلاميذ. والأبحاث التربوية المعنية بدراسة العلاقة التربوية بالمدرسة تؤكد بأن المعلم المتسلط هو المعلم الذي يتحقق لديه مستوى الكفاءة العلمية والتربوية معاً، لكن هذه النظرة في الوقت الحاضر أصبحت خاطئة فالمعلم الديمقراطي هو المعلم المتمكن والمؤهل وهو وحده الذي يستطيع أن يعتمد على الحوار الموضوعي في توجيه طلابه وتعليمهم، دون اللجوء إلى العنف. فالمعلم الذي يستخدم الضرب والكلمات النابية يشوه البيئة النفسية للطالب، والمدرسة عندما تتبع هذه الأساليب من عنف وإكراه وإحباط إزاء التلاميذ تكون مؤسسة لتدمير الأجيال وإخفاقهم في كل المجالات.

وللعنف المدرسي عوامل متعددة نذكر منها:

- **عوامل سلوك العنف التي ترجع إلى مجتمع المدرسة ومنها:**

- ضعف اللوائح المدرسية، وعدم وضوح القوانين وقواعد المدرسة، حدود غير واضحة لا يعرف الطالب بها حقوقه ولا واجباته.

- زيادة الكثافة في المبنى المدرسي وفي الصفوف.
- نقص الأنشطة المدرسية.
- لاتسمح المدرسة للطلاب بالتعبير عن مشاعرهم وتفريغ عدوانيتهم بطرق سليمة.
- الإدارة المتسلطة.

-عوامل سلوك العنف التي ترجع إلى المدرسين ومنها:

١ . اعتقاد بعض المعلمين بأن ضرب التلاميذ وعقابهم نفسياً ومعنوياً، لاسيما التلاميذ كثيرو الحركة، هو الطريقة السهلة لسكوتهم وتهدئتهم.

٢ . ادعاء بعض المعلمين أن أولياء أمور التلاميذ يأتون إلى المدرسة ويطلبون منهم ضـ رب أبنائهم.

٣ . الأفكار الخاطئة عند بعض المعلمين، حيث يعتقدون أن الأطفال الذين يأتون مـ ن أسـ ر فقيرة اعتادت على الضرب لا ينضبط سلوكهم بالحب، والتوجيه، والإرشاد، وإنما يـ تم عـ ن طريق الضرب وأساليب أخرى.

٤ . الضغوط النفسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية التي يتعرض لها المعلمون، قد تكـ ون من العوامل التي تجعلهم يفرغون ما يعانون من غضب، نتيجة ما يتعرضون له من ضـ غوط على تلاميذهم وقد يستخدم معلمون الضرب كرد فعل عكسي لإسقاط عدوانيـ ة دفيـ نة منـ ذ الصغر نتيجة لما وقع عليهم من ضرب سواء من معلميهم أو من أولياء أمورهم.

٥ . بعض المعلمين يستخدمون الضرب كوسيلة للضغط على التلاميذ للحصول علـ ى دروس خصوصية.

٦ . بعض المعلمين يستخدمون الضرب كوسيلة لرفع مستوى العملية التعليمية وزيادة تحصيل التلاميذ لاعتقادهم أن الشدة في التعامل مع التلاميذ ستؤدي بهم إلى زيادة اهتمامهم بدروسهم.

٧. عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ من حيث قدراتهم سواء في الصف الواحد أو في الصفوف المختلفة.

٨. تمييز المعلم بين التلاميذ.

٩. وجود مسافة كبيرة بين المعلم والتلميذ، حيث لا يستطيع محاورته ولا نقاشه حول علاماته أو رضاه عن المادة، كذلك خوف الطالب من السلطة يمكن أن يؤدي إلى هذه خلق المسافة .

١٠.غياب الاهتمام بالطالب مما يدفعه إلى استخدام العنف ليلفت الانتباه إليه.

١١.التركيز على جوانب الضعف عند الطالب والإكثار من انتقاده.

١٢.لايسمح للطالب بالتعبير عن مشاعره فغالباً ما يقوم المعلمون بإذلال الطالب وإهانته إذا أظهر غضبه.

- **عوامل سلوك العنف التي ترجع إلى الرفاق :**

توجد ظاهرة عنف واضطهاد الأقران في المدارس في الدول كلها وتم رصدها منذ سنوات طويلة ويتعرض لها نسبة غير ضئيلة من الأطفال، لكن الاهتمام المنظم بها بدأ عن طريق الدراسات التي قام عالم نرويجي يدعي "أولفس" في السبعينات من القرن الماضي.

للعنف بين الأقران آثار شديدة الضرر على تطور ورفاه الطفل، وأعنف الآثار لهذا العنف هو الانتحار، إن إقدام ثلاثة من الأطفال على الانتحار خلال فترة زمنية قصيرة، دفع حكومة النرويج لكي تقود أول حملة ضخمة ومنظمة في عام ١٩٨٣م للحد من عنف واضطهاد الأقران في المدارس.

تعريف عنف و اضطهاد الأقران: لايوجد تعريف موحد متفق عليه. ولكنه يعرف بوجه عام بأنه الرغبة الواعية في إيذاء شخص ما أو الضغط عليه. ويتضمن سلوكاً سلبياً أو مؤذياً، مرتبطاً بعلاقات القوى، عندما يتعرض الشخص أو الجماعة الأضعف بشكل متكرر وغير عادل للعنف. ويطلق عليه بعضهم "إساءة استخدام القدرة أو القوة بشكل منتظم".

أنماط عنف الأقران:

- اللفظي

- البدني

- غير المباشر: مثل نشر شائعات مؤذية، الرفض أو الإقصاء.

- أحياناً يضاف التحرش الجنسي أو العرقي.

يجب التفريق بين أن يكون الطفل ضحية طفل آخر أو ضحية مجموعة، وأن يك ون الطف ل ضحية باعتباره فرداً في جماعة يمارس ضدها نوعاً من الإجحاف أو لشخصه.

مظاهر عنف و اضطهاد الأقران:

- المناداة بأسماء غير مرغوبة.

- اختلاق قصص توقع في مشكلة.

- الضرب ودفع الطفل الآخر.

- الاستيلاء على أشياء الطفل الآخر.

- سرقة أشياء الطفل الآخر.

- دفع الأصدقاء للبعد عن الطفل.

- نشر شائعات عن الطفل الآخر.

- التهديدات والتخويف للطفل.

- مكالمات هاتفية مزعجة أو تحمل التهديد.

لماذا يؤذي طفل طفلاً آخر؟

في العموم يكون عنف الأقران هو طريقة لتعبير المعتدي عن مشكلاته، مثل:

- عدم تقبل الاختلاف بكافة أشكاله: ابسطها البد دني/ الشد كلي: السد منة، ارتد داء نظ ارة طبية...الخ.

- تعرض المعتدي للعنف أو الإساءة ضمن أسرته.

- وغالباً ما يختار المعتدي الطفل الذي يتوقع عدم رده أو انتقامه.

سمات القرين المعتدي:

- قد يكون أقوى جسدياً.

- لديه رغبة قوية في السيطرة.

- سريع الغضب ومندفع.
- ضعف في القدرة على تحمل الاختلاف.
- يصعب عليه الالتزام بالقواعد.
- عنيف تجاه الكبار وخاصة رموز السلطة.
- لديه ميل أكثر من أقرانه في ممارسة السلوك اللاجتماعي.
- لديه توجهات سلبية تجاه المدرسة ويحصل على درجات منخفضة.
- غير محبوب في المدرسة خاصة لدى السن الأصغر.

آثار عنف واضطهاد الأقران:

١- تدني الحالة النفسية: كالإحساس بعدم السعادة بشكل عام وانخفاض الثقة بـ النفس، والشـ عور بالغضب.

٢- ضعف التوافق الاجتماعي: الشعور بالرفض للبيئة الاجتماعية معبراً عنها فـ ي شـ كل عـ دم الرغبة في الذهاب للمدرسة والغياب والعزلة. وهناك مؤشرات من البحوث والدراسات تـ دل على أن هذه الآثار تمتد إلى مراحل متأخرة من العمر.

٣- الضغوط النفسية: مستويات عالية من القلق والاكتئاب والتفكير الانتحاري.

٤- المرض الجسمي: أعراض جسمية مرضية واضحة.

- **عوامل العنف المدرسي التي ترجع إلى طبيعة المناهج وطرق التدريس:**

١. نوع التدريس المتمركز على نشاط المعلم، يجعل التلميذ أكثر سلبية في العملية التعليميـ ة، وهذا يضعف دافعية التعلم لدى المتعلم ويعوده على الشرود وتشتيت الانتباه، ويشعره بالضيق والملل، ويدفعه إلى تفريغ طاقته المهدورة بطرق غير صحية.

٢. الإرهاق النفسي والفكري الذي يتعرض إليه الطفل نتيجة المتطلبات المرهقـ ة لإمكاناتـ ه العقلية والذهنية والنفسية وربما حتى المادية، كذلك الواجبات المادية والمدرسية التي تستغرق

وقته وجهده داخل المدرسة وخارجها مع مصادرة حقه في اللعب والراحة، مما يدفعه للتمرد والعنف الارتدادي كنوع من التنفيس عن القهر الذي يمارس عليه.

٣. غموض المناهج التعليمية وصعوبتها حتى تكاد تكون تعجيزية في المراحل المتقدمة كذلك عدم وضوح القوانين الناظمة للعملية التربوية، والجهل بها من قبل المعلم والتلميذ معاً.

- عوامل مدرسية ترجع إلى طبيعة المجتمع:

١- طبيعة المجتمع الأبوي والسلطوي: إن جذور المجتمع المبنية على السلطة الأبوية ما زالت مسيطرة، فنرى على سبيل المثال أن استخدام العنف من قبل الأخ الكبير أو المدرس هو أمر مباح ويعدّ في إطار المعايير الاجتماعية السليمة، وحسب النظرية النفسية الاجتماعية فإن الإنسان يكون عنيفاً عندما يتواجد في مجتمع يعتبر العنف سلوكاً ممكناً، مسموحاً ومتفقاً عليه. بناء على ذلك تعدّ المدرسة المصب الضغوطات الخارجية جميعها، فيأتي الطلاب المعنفون من قبل الأهل والمجتمع المحيط بهم إلى المدرسة ليفرغوا الكبت القائم بسلوكيات عدوانية عنيفة، يقابلهم طلاب آخرون يشابهونهم الوضع بسلوكيات مماثلة وبهذه الطريقة تتطور حدة العنف ويزداد انتشارها، كذلك فداخل المدرسة تأخذ الجماعات ذوات المواقف المتشابهة حيال العنف شلل وتحالفات من أجل الانتماء مما يعزز عندهم تلك التوجهات والسلوكيات فيذكر(هوربتس١٩٩٥)، إذا كانت البيئة خارج المدرسة عنيفة فإن المدرسة تكون عنيفة.

فالطالب يتأثر في ثلاث مركبات هي: العائلة، والمجتمع، والإعلام ولذلك يكون العنف المدرسي هو نتاجاً للثقافة المجتمعية العنيفة.

٢-مجتمع تحصيلي: في كثير من الأحيان نحترم الطالب الناجح فقط ولا نعطي أهمية وكياناً للطالب الفاشل تعليمياً، وحسب نظرية الدوافع فالإحباط هو الدافع الرئيسي من وراء العنف فبوساطة العنف يتمكن الفرد الذي يشعر بالعجزمن أن يثبت قدراته الخاصة، و نرى كثيراً أن العنف ناتج عن المنافسة والغيرة، كذلك فإن الطالب الذي يعاقب من قبل معلمه باستمرار يفتش عن موضوع (شخص) يمكن أن يصب غضبه عليه.

٣-العنف المدرسي هو نتاج التجربة المدرسية (سلوكيات المدرسة):

- نظام المدرسة بكامله من طاقم المعلمين، والأخصائيين، والإدارة يوجد فيه علاقات متوترة طوال الوقت.
- تغيرات متوترة مفاجئة داخل المدرسة: تغير المدير ودخول آخر بطرق تربوية أخرى وتوجهات مختلفة، ترك المعلم واستبداله بمعلم أخر يعلم بأساليب مختلفة...إلخ

*** عوامل المجتمع:**

إن المجتمع الذي يكثر فيه معدل الطلاق والأسر الممزقة تزداد فيه جرائم العنف، كما أن تخبط المجتمع حول طرق التربية، وغياب الهدف الوطني الذي يمتص طاقات الشباب، ونقص ممارسة الديموقراطية الحقيقية، وانهيار القيم الأخلاقية السائدة، واهتزاز القدوة على المستوى الاجتماعي، والبطالة إلى جانب انهيار مستوى التعليم والفراغ الفكري الذي يعيشه الشباب ونقص الاهتمام بالرياضة البدنية التي تساعدهم لإفراغ طاقاتهم، كل ذلك يؤدي إلى العنف.

ومن أهم عوامل المجتمع:

أ – <u>التغير في بنية الثقافة ومفهوم العنف ضد الأطفال</u>:

مع التطور الحاصل في المجتمع فإن مجموعة كبيرة من القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية الجديدة أخذت تنتشر في الثقافة وتؤثر في سلوك الأفراد وفي حياتهم وأنماط العلاقات الاجتماعية بينهم.

فالثقافة الصناعية المتطورة تقوم في الجزء الأكبر منها على مفهوم تقديس الفرد، والبحث عن حقوقه، والعمل على توفير الشروط التي تضمن له العمل والاستثمار والنجاح بالشكل الأفضل، فهي تنظر إلى المجتمع بوصفه مجموعة أفراد يسعى كل واحد منهم لتحقيق مصالحه، وتأتي مصلحة المجتمع بصورة إجمالية نتيجة تضافر مجموع مصالح الأفراد.

وفي المراحل الأكثر تطوراً من تطور المجتمع الرأسمالي، أصبحت قيمة الفرد رهنا بمساهمته الاقتصادية والمادية التي يقدمها للمشروع الرأسمالي، وليست مرتبطة بموقعه الاجتماعي أو بمركزه بالنسبة إلى الجماعة التي ينتمي إليها، ويعيش بين أبنائها.

فأخذت الحضارة المادية الحديثة تجرد الإنسان من موقعه الاجتماعي وتعطيه من القيمة ما يكافئ استثماراته المالية أو موقعه في النفوذ السياسي أو العسكري.

وقد نتج عن ذلك أن الحضارة المادية لم تعد تنظر إلى الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، ولم تعد تنظر إلى المرأة بوصفها أماً أو أختاً أو زوجة ولا حتى ربة منزل. وإنما تنظر إليها بوصفها عاملة في مصنع أو مؤسسة فحسب. شأنها في ذلك شأن الرجل الذي لم تعد الحضارة تنظر إليه بوصفه أباً أو زوجاً بقدر ما تنظر إليه على أنه مستثمر أو تاجر أو عامل.

وينطبق الأمر تمام الانطباق على الطفل الذي فقد صفته ابناً أو أخاً في نظر الحضارة المادية الحديثة، وباتت قيمته مستمدة من ذاته وليست من الموقع الاجتماعي الذي يشغله بالنسبة إلى أسرته. وهذا من الأسباب الأساسية المولدة للعنف.

ب – التحديات الثقافية والحضارية :

تخضع حياة الطفل في الوقت الراهن لتأثير مجموعة كبيرة من المؤثرات الثقافية والحضارية التي يزداد انتشارها بقوة مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة.

ولاسيما صحون التلفزة الفضائية وسرعة التواصل وتبادل المنتجات الإعلامية والثقافية في أشكالها المتنوعة وفي أغراضها المتعددة.

باتت التحديات الثقافية والحضارية التي تؤثر في تكوين الإنسان العربي أكثر خطورة من التحديات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي كانت أكثر وضوحاً طيلة القرن العشرين. وإن هذه العوامل تستوجب من الباحثين المعنيين بأمور التربية والتأهيل الاجتماعي، إعادة النظر في كمّ كبير من المفاهيم والتصورات التي أنتجتها عمليات التفاعل مع الثقافات الواردة من جهة ومع الثقافات التي أنتجتها مظاهر التخلف من جهة ثانية.

ج- خلخلة النظم الاجتماعية :

تسهم التحولات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية الواسعة في خلخلة النظم الاجتماعية التقليدية الضابطة للسلوك الاجتماعي، وذلك على مستوى الأسرة والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وعلى مستوى التنظيمات الاجتماعية المختلفة. وتعود أبـ ـرز مظـ ـاهر الخلـ ـل فـ ـي الـ ـنظم الاجتماعية إلى ضعف البعد الاجتماعي في شخصية الطفل أو غيابه في كثير من الحالات. ولا تعد مسألة الموازنة بين الحقوق والواجبات مسوغة على أي من مستويات التفاعل، ولهذا السبب تزداد القوانين يوماً بعد آخر. وتتنوع وظائفها، وتضعف فعاليتها مـ ـع غيـ ـاب البعـ ـد الاجتماعي في شخصية الفرد. ثم يأخذ المشرعون بتطوير القوانين مرة أخرى ظناً مـ ـنهم أن في ذلك ما يساعد مؤسسات الدولة على تحقيق ضبط أفضل. لكن دون جدوى، لأن انحـ ـلال الأخلاق وضعف البعد الاجتماعي في شخصية الإنسان، يجعل من القانون وسيلة جديدة مـ ـن وسائل السيطرة غير المشروعة وفي الوقت الذي تزداد فيه القوانين سعة وانتشاراً تتضـ ـاءل فيه فعالياتها وآثارها في ضبط السلوك.

ظاهرة العنف في وسائل الإعلام:

أصبح للتلفزيون في الوقت الحالي تأثيره الواسع مع مجال عـ ـريض فـ ـي القـ ـيم والمعـ ـايير الاجتماعية وغالبية أنماط السلوك والعادات الاجتماعية، فقد استطاعت هذه الوسيلة الإعلامية بمفردها أن تشكل لدى غالبية المجتمعات الحضرية والصناعية ثقافة تليفزيونية خاصة وتنشئ جيلا تلفزيونياً خاصاً ولاشك أن الناس في كل مكان وعلى اختلاف طبقاتهم بدؤوا ينظـ ـرون إلى التلفزيون بوصفه ظاهرة جديدة أو كمشكلة حضارية جديدة ذات أثار سلبية معينة، ويكـ ـاد يجتمع الرأي على أننا نواجه اليوم حملة إعلامية شرعية تتضمن ما تعرضه بعض الوسـ ـائل الجماهيرية والتليفزيونية بوجه خاص من مواد تحتوي على مشاهد مـ ـن الرعـ ـب والعنـ ـف والجريمة والسادية والعدوان بشكل هائل وفي زيادة مستمرة لا نجد في الأفق ما يبشر بـ ـنمط تنازلي يشير إلى الاعتدال أو النقصان.

فالمشاهدة المستمرة لمشاهد العنف الجسماني، والقسوة البدنية، والمواقف المركبة تؤدي علـ ـى المدى الطويل إلى تبلد الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعـ ـض مواقف الصراعات أو ممارسة السلوك العنيف ذاته.

والملاحظة النقدية تبين بوضوح أن الألعاب العنيفة التي يمارسونها في باحات المدرسة وثيقة الصلة بالمشاهد التلفزيونية العنيفة، ويجب علينا ألا ننسى في هذا الصدد أن الألعاب من أهم الأسباب التي يعبر بها الطفل عن العنف الكامن في داخله.

كما أن مشاهدة العنف تسمح للمشاهد أن يعيش حالات عنف تعويضية لا يجرؤ على فعلها بنفسه، فيتم عن طريق التوحد مع معطيات المشهد، ويؤدي به ذلك إلى التخلص من المكبوت اللاشعوري الداعي إلى العنف. (شالفون، ١٩٩٦، ١٦٤)

(إن الأطفال الذين ينبهرون بمشاهد العنف التي تعرض في وسائل الإعلام هم أكثر الأطفال عرضة لممارسة العنف في حياتهم)، كذلك فإن الأطفال الذين يعاملون الحيوانات بقسوة وعنف من المحتمل أن يصبح سلوكهم عنيفاً تجاه الأشخاص الذين يتعاملون معهم.

لقد أصبح العنف وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية حيث ذكرت الرابطة النفسية الأمريكية أن الطفل الذي يبلغ ثمانية عشر عاماً يرى ما يبلغ ١٦,٠٠٠ جريمة قتل و ٢٠٠,٠٠٠ فعل من أفعال العنف في الأفلام أو على شاشة التلفاز تظهر الصورة في الكثير من هذه البرامج واضحة ومجسمة، فعندما يتعرض الأطفال لكثير من مواقف العنف يترسخ لديهم الاعتقاد بأن العنف يعد شيئاً مقبولاً وهو من أفضل الطرق للتعامل مع المشكلات وحلها، كما أن ألعاب الكمبيوتر يمكن أن تؤثر على الطفل فيصبح الطفل عنيفاً والكثير من الألعاب (القاتل الأول) (فيرست بيرسون شوتر) تزيد اللاعب من النقاط كلما تزايد عدد قتلاه، فهنا يتعلم الطفل أن القتل شيء مقبول وممتع.

ثانياً: بعض النظريات المفسرة للعنف

١- نظرية المخالطة الفارقة (سذرلاند):

يرى "سذرلاند" أن السلوك الإجرامي متعلّم يتعلمه الفرد من محيطه الاجتماعي، بحسب درجة التقارب بين الفرد ومحيط المخالطة الطبيعية، فكلما زاد هذا التقارب زادت إمكانية التعلم، فالفرد إما يحاط بقوى معادية للجريمة أو محبذة لها، ونتيجة للمخالطة يحصل التدريب

والتعليم، فإذا كان الرأي المعادي للجريمة هو الغالب لدى الجماعة المختلط بها، تعل م الف رد هذا الرأي وأصبح معادياً للجريمة، بينما العكس صحيح عندما يكون محيط المخالطة محب ذاً للجريمة فإن الفرد سيرتكب الفعل الإجرامي عندما يكون في موقف مناسب لذلك.

وتقوم هذه النظرية على عدة افتراضات يمكن تلخيصها في ما يأتي:

– السلوك الإجرامي سلوك متعلّم يتم اكتسابه وتعلمه من خ لال الأس رة، أو المدرس ة، أو وسائل الإعلام، أو عن طريق التفاعل مع أشخاص آخرين يتم الاختلاط بهم.

– العلاقات المؤثرة على السلوك تكون عن طريق الاتصال المباشر، وه ذا م ن شـ أنه أن يضعف الاتصالات الأخرى غير المباشرة وتأثيرها على السلوك.

– يتضمن التعليم الإجرامي، التدريب عليه، توابع التعليم وآلياته.

– عندما يغلب الفرد المخالط الرأي أو الاتجاه الذي يذهب إلى مخالفة الأنظم ة والضـ وابط، يقتنع بجدوى الفعل الإجرامي ومشروعيته ويغفل الـ رأي الـ ذي يغل ب احت رام الأنظم ة والضوابط، حينها ينحرف الفرد.

– الاختلاط التفاضلي، يختلف بحسب التكرار والاستمرار والأس بقية، فكلم ا ك رر الف رد الاتصال مع المجتمع الضيق، وكان الاتصال مبكراً وأطول، زاد التأثر بثقافة وسلوك المجتمع المخالط، وزاد احتمال الاستجابة لثقافة وسلوكيات المختلط بهم من طرف الفرد المختلط.

– السلوك الإجرامي قد يعبر عن حاجات وقيم عامة لكنه لا يمكن أن يفسر انطلاقاً من ه ذه القيم والحاجات وحدها، فالقيم تصلح لتفسير أصل السلوك وليس صفاته، فكل سلوك هو تعبير عن قيم وحاجات.

يتضح من تلخيص الأفكار السابقة التي قامت عليها نظرية سذرلاند أنها تنظر إلى العنف على أنه سلوك يتعلمه الفرد من محيطه الاجتماعي المختلط به، وأنه كلما زادت درجة التقارب بين الفرد ومحيط المخالطة الضيق زادت إمكانية التعلم والاقتناع للسلوك العنفي، وحسـ ب ه ذه النظرية فإن الأسرة هي أكثر المحيطات التي يتعلم منها الفرد بحكم تفاعله المستمر والمتكرر معها، ثم تأتي بعد ذلك المدرسة بوصفها المحيط الثاني بعد الأسرة وفـ ي ه ذين المحيط ين يقضي الفرد جل وقته ولذلك هما أكثر المحيطات الضيقة تأثيراً على سلوكه. وبناءً على ذلك

فإن العنف المدرسي يكون نتيجة لمخالطة بعض الأفراد فيها وكونها وسطاً اجتماعياً يتفاعل فيه الفرد، وهو مجتمع محدود وضيق، الأمر الذي قد يؤدي إلى تناقل الأفكار بين الطلاب خصوصاً الذين يكونون في بداية الخروج من الطريق السوي.(المطيري، ٢٠٠٦، ٣٦)

٢- نظرية التفكك الاجتماعي:

يشمل مفهوم التفكك الاجتماعي كل مظاهر سوء التنظيم في المجتمع من الناحيتين العضوية والثقافية، وقد يعني عدم التناسق أو التوازن بين أجزاء ثقافة المجتمع، وتتمثل دواعي التفكك الاجتماعي في التغيرات السريعة التي تحدث داخل المجتمع، فعندما يتعرض المجتمع إلى حالة من عدم الاستقرار في العلاقات القائمة بين أعضائه، فإن الترابط الاجتماعي يغيب بين أجزائه.

ويمكن أن تتلخص نظرية التفكك الاجتماعي فيما يأتي:

للتفكك الاجتماعي أثر كبير في نمو ظاهرة السلوك المنحرف، لأن الفرد مرتبط بمجموعات من الوحدات الاجتماعية. وكل وحدة من هذه الوحدات تشبع له بعض الحاجات، ولكل منها مجموعة من المعايير التي تنظم السلوك، فإذا كانت تلك المعايير واحدة بالنسبة لكل الوحدات الممثلة للثقافة في المجتمع، حينئذ لا يوجد مشكلة، ولكن تظهر المشكلة حينما تختلف هذه الوحدات في المعايير التي تنظم السلوك، لأن الفرد في تفاعله داخل المجتمع ينتقل من جماعة الأسرة إلى جماعة الرفاق ومن المدرسة إلى زملاء العمل، ومن خلال تفاعل الفرد مع هذه الجماعات فإنه يكتسب منها بعض معايير السلوك التي توجه علاقاته بالآخرين.

وتزداد فرصة التماثل بين المعايير كلما كانت الجماعة التي يتفاعل معها الفرد محدودة، بعكس ما إذا اتسعت دائرة تفاعله وهو ما يؤدي إلى حالة من اضطراب في المخزون المعرفي للمعايير في حالة وجود أنماط ثقافية ومعايير مختلفة بين الجماعات تؤدي إلى صراعات داخلية تؤدي إلى أنماط انحرافية.

ومعنى ما سبق أنه إذا اختلت المعايير التي تنظم السلوك بين الوحدات الاجتماعية التي تنقل الفرد في تفاعله داخل المجتمع بينها وهي: الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، وزملاء العمل وغيرها، فإنه عندئذ سيحدث للفرد صراعات داخلية تؤدي به إلى العنف، وكلما اتسعت دائرة تفاعله، فإن ذلك سوف يؤدي إلى حالة من الاضطراب في المخزون المعرفي للمعايير،

ففي حالة وجود معايير مختلفة بين الجماعات تؤدي إلى صراعات داخلية تؤدي إلى أنماط مختلفة من العنف. (الطيار، ١٩٩٩، ص٧٢)

٣- نظرية الإحباط / العدوان:

وتنص هذه النظرية على أن البيئة التي تتسبب في الإحباط للفرد تدفعه دفعاً نحو العنف، بمعنى أن البيئة المحيطة التي لا تساعد الفرد على تحقيق ذاته والنجاح فيها تدفعه دفعاً نحو العنف. ومثال ذلك: نجد أن البيئة المحيطة ببعض الشباب لا تساعده في توفير العمل المناسب، أو الدخل المناسب، أو المسكن، وبناء الأسرة ونتيجة لكل هذه الإحباطات فمن الطبيعي أن نجد اندفاع عدد من الشباب نحو العنف بوجه عام وبوجه خاص نحو المرأة والطفل بوصفهما الفئات الأضعف.

وقد قام كل من "دولارد وميللر" بدراسة الإحباط وعلاقته بظهور العنف أو العدوان لدى الإنسان، واعتبروا أن العنف أو العدوان هو استجابة فطرية للإحباط، حيث تزداد شدة العدوان، وتقوى حدته كلما زاد الإحباط، وتكرر حدوثه. فإذا منع الفرد من تحقيق هدف ضروري له شعر بالإحباط، وكان العدوان هو رد الفعل على مصدر الإحباط سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وعلى هذا الأساس فإن الرغبة في السلوك العنيف تختلف باختلاف كمية الإحباط التي يعاني منها الفرد.

وقد قدم أحمد عكاشة تفسيراً يؤكد فيه نظرية الإحباط / العدوان حيث إن الإحباط إن لم يؤد في كل الظروف إلى العنف فإن كل عنف يسبقه موقف محبط.(منيب، سليمان، ٢٠٠٧، ٣٤)

٤- النظرية الفيزيولوجية:

تشير الدراسات التي أجراها الباحثون بعلم وظائف الأعضاء إلى أن الجزء المسمى بالجهاز الطرفي في المخ هو المسؤول عن السلوك العنيف. وتوضح هذه النظرية وجود علاقة بين العنف وبين مراكز المخ، فالسلوك العنيف لدى مرضى الصرع من أكثر ما يميز هؤلاء، ومن ثم هؤلاء المرضى أكثر عرضة لنوبات العنف من الأشخاص العاديين، وتبين إحدى الدراسات التي اهتمت بفحص عقول القتلة المصريين الموجودين بالسجون أو مستشفى الأمراض العقلية والتي أوضحت أن أكثر هؤلاء يعانون من رسم مخ شاذ، وهذا يؤيد

الأساس الفيزيولوجي للعنف. ومن جانب آخر أرجع "كونراد لورنز" طاقة العنف إلى أنها تتكون في التنظيم العصبي المركزي.

٥ – نظرية الضغط البيئي:

وترى هذه النظرية أن الضغوط البيئية سواء كانت ازدحاماً أو ضوضاء أم تلوثاً أم غيره من ضغوط البيئة الفيزيقية، إذا زادت عن مقدار قدرة الإنسان على التحمل سوف تؤدي إلى قيام الإنسان بأعمال عنف. بمعنى أن الإنسان الذي يعيش في بيئة تعانى من مشكلات بيئية عديدة مثل سكان المناطق العشوائية والمختلفة التي تعانى من الازدحام وسوء حالة المسكن، ونقص الخصوصية، ونقص الخدمات، والمرافق، هذه البيئة تدفع الإنسان دفعا للعنف ومن الطبيعي أن يوجه هذا العنف للضعفاء وفى مقدمتهم النساء والأطفال.

وبمكن النظر لنظرية الضغط البيئي من منظور البيئة الاجتماعية بمعنى، أنه كلما ازدادت ضغوط البيئة الاجتماعية أدى ذلك لقيام الإنسان بالعنف ويمثل ذلك مشكلات نقص الدخل، والبطالة، والخلافات الزوجية، والتضخم، وخلافة كل هذه المشكلات إذا توفرت تساعد على زيادة العنف نحو المرأة والطفل بوجه خاص.

٦ – النظرية الحلزونية:

تقول هذه النظرية : أن العنف لا يحدث فجأة، بل هناك نمط من التفاعلات الحلزونية المتعددة المراحل. فهناك مرحلة تصاعد التوتر، يليها مرحلة تفجير العنف الحاد، ثم الشعور بانخفاض التوتر، ثم الاعتذار من جديد لتبدأ المرحلة الأولى وهكذا.

٧– نظرية (المهمشين):

وهذه النظرية تري أن البيئات الهامشية تساعد على العنف، لأن الأحياء الهامشية التي تنشأ على أطراف المدن أو القرى وتعانى من إهمال الدولة وغياب اهتمامها بالمرافق والخدمات يتولد لدى سكان هذه المناطق الشعور بالتجاهل وغياب الاهتمام، مما يؤدى لشعورهم بالضعف والرغبة في الانتقام فيتجهون للعنف، كما أن المهمشين اجتماعياً مثل فئة رجال القمامة وخلافهم يتولد لديهم نفس الشعور ويكونوا أكثر عنفاً من غيرهم.

٨ – نظرية التعلم الاجتماعي:

ترفض هذه النظرية فكرة أن العدوان هو نتيجة للإحباط، وتقول أن العدوان لا يختلف عن أي استجابة يتعلمها الفرد، فالعدوان يمكن تعلمه من خلال الملاحظة والمحاكاة والتقليد.

٩ –النظرية السلوكية:

ينظر السلوكيون إلى العنف على أنه سلوك مكتسب يتم تعلمه بالممارسة والخبرة خلال ارتباطه بمثيرات معينة. ويتم اكتساب هذا السلوك عن طريق التعزيز والتدعيم الإيجابي من الآباء والأشخاص المحيطين بالطفل لهذا السلوك.

وبعد أن يتم تعزيز السلوك العدواني لدى الطفل يتم تعميمه ويصبح سلوكاً معتمداً لدى الطفل يستخدمه في مواجهة المواقف المماثلة للموقف المرتبط بالسلوك العدواني.

١٠ – النظرية المعرفية:

ترى أن معتقدات الشخص وأفكاره هي التي تولد الانفعالات لدى الشخص، وعندما تكون معتقدات الشخص عقلانية تكون انفعالاته سوية، وعندما تكون أفكاره لا عقلانية تتولد لديه انفعالات غير سوية، ويتم اكتساب المعتقدات اللاعقلانية في فترة الطفولة بسبب أساليب تربوية خاطئة يمارسها الوالدان.

١١– نظرية التحليل النفسي:

انطلاقاً من آراء فرويد التي استقاها من بحوثه العيادية والنظرية فهناك غريزتان أساسيتان هنا: غريزة الحياة وغريزة الموت، وغريزة الحياة هي منبع الطاقة الحسية المسؤولة عن الروابط الإيجابية كلها مع الآخرين والعلاقات العاطفية والتقارب، وعلى العكس من ذلك فغريزة الموت تهدف إلى التدمير وهي تؤدي إلى فناء الكائن الحي حين تتوجه إلى ذاته، بينما إذا توجهت إلى الخارج تأخذ شكل العنف وقد أعطى فرويد الأولوية لغريزة الموت، والعدوان تعبير عن غريزة التدمير، فالشخص الذي يقاتل آخرين وينزع نحو التدمير يعود بذلك إلى رغبة في الموت قد عاقتها غرائز الحياة.